## هوامش

مناسك الحج أمر غاية في الأهمية في الجزائر، إذ يحظى من يُمنح فرصة أداء الفريضة بمراسم احتفالية تخضع لعادات وطقوس. ويستعد كثيرون للاحتفالات التي توفر السلطات أجواءها المناسبة

حجاج في مطار الجزائر (رياض قرمدي/ فرانس برس)

# حجاج الجزائر

## طقوس التوديع... الركب والوعدة وأشياء أخرى

الجزائر ـ **فتيحة زماموش**

**بدأت أولى وفود الحجاج الجزائريين الذين يقدّر عددهم بـ34 ألفاً هذا العام في المغادرة بفرح عظيم إلى البقاع المقدسة في مكة المكرمة. انتظر بعضهم طويلاً ليحققوا حلم أداء فريضة الحج، خصوصاً الكبار في السن، فكان ورود أسمائهم في قوائم المقبولين لأداء المناسك أكبر فرحة تزور قلوبهم، ومناسبة وجب الاحتفال بها لتوديعهم قبل أن يذهبوا إلى «جنة الله في الأرض».**

**قبل الحج، يعامل الحجاج في الجزائر، مثل العرسان بل أكثر، خصوصاً أنّ الجزائريين يعتبرون من يُوفق بورود اسمه في قائمة الحجاج «كأنّما نادت عليه مكة لزيارتها، وقليلون يحظون بذلك». وهذا الاعتقاد السائد بأن البقاع المقدسة تنادي زوارها، ترويه الكثير من القصص لأشخاص قدموا لسنوات ملف الحج من دون أن يحظوا بهذا الشرف. ومن بين العادات المكرسة لدى العائلات الجزائرية قبل الحج، أن يستعد الحاج للرحلة بشراء الملابس الخاصة بالمناسبة، وبعض الأغراض التي يحتاجها في البقاع المقدسة. ويحرص أهله على توفير كل الأغراض الضرورية التي يحتاجها في رحلته، كما يلتزم الحاج قبل سفره بتنفيذ أحد أبرز التقاليد، والمتمثلة في زيارة أهله وأقاربه وذويه وجيرانه لتوديعهم، وطلب السماح والصفح منهم، وإحلال الصفاء بينهم قبل الذهاب إلى الحج. يقول عبد السلام رحماني لـ«العربي الجديد»: «سجلت اسمي في قرعة الحج ثماني مرات، ولم أدرج في القوائم، لكن هذا العام أذِنت لي مكة، وفزت بالقرعة، وأنا أستعد للذهاب إلى مكة المكرمة. وهناك تقاليد شعبية يجب القيام بها عبر زيارة كل أقربائي لطلب الصفح منهم، وهو ما كان يفعله أجدادي قبل السفر للحج».**

**ولأن الحج يمثل حالة فرح لدى عائلات الحجاج، يجب الاحتفال به بإقامة «الوعدة» (وليمة)، حيث يطهى طبق الكسكسي باللحم، ويوضع في وعاء مصنوع من خشب يسمى الجفنة أو القصعة، ثم ينقل إلى أقرب مسجد يتواجد قرب بيت صاحب الاحتفال، ويأكل منه المصلون، كما يوزع على الفقراء. ويقول محمد كبيش لـ«العربي الجديد»: «تنتشر هذه العادة غالباً في كل ربوع المدن الجزائرية، وتنفذها العائلات قبل سفر الحجاج. هذه المرة الثانية التي يحج فيها والدي إلى بيت الله، ويقضي التقليد إلى جانب توزيع الطعام في مسجد المدينة وعلى الفقراء، بدعوة كل الأقارب والأحباب والجيران والأصدقاء الى مأدبة عشية السفر للحج لتوديعهم»، كما تنظم في المناطق عملية تخضيب الحنّاء للنساء والأطفال، إذ تعتبر الحنّة علامة للفرح ورمزاً للاحتفال. وفي السنوات الأخيرة، باتت السلطات والبلديات في الجزائر تولي مزيداً من الاهتمام بموسم الحج، وتعتبر أن توفير كل الظروف المناسبة وتكريم الحجاج قبل سفرهم عملان مباركان ضمن خدمات زوار بيت الله، لذا تحرص سلطات في بلديات عدة على دعوة حجاجها إلى مسجد المدينة للتحدث إليهم، وحثهم على حسن الاعتناء بأنفسهم خلال رحلة الحج، واحترام تعليمات البعثة الرسمية التي ترافقهم إلى البقاع المقدسة، ومطالبتهم بالدعاء للبلد بالخير. وهذا ما فعله مجلس بلدية أفلوا بولاية الأغواط (وسط) الذي جمع حجاج البلدة في مسجد أبو بكر الصديق. أيضاً توفر بعض البلديات حافلات مكيفة للحجاج، وتؤمن مرافقة لهم بالطبل والدف. ويرافق أفراد من العائلات الحجاج لدى مغادرتهم لزيارة البقاع المقدسة، وينضمون إلى مواكب تضم عدة سيارات تنطلق من بيت الحاج إلى المطار. ولا تختلف هذه المواكب عن تلك التي للعرسان، إذ تضم الأبناء والأحفاد والأقارب، وتعمّ فيها الفرحة أثناء توديع الحجاج بالدعاء والزغاريد بأمل أن يعودوا سالمين مُعافين، وهم يحملون أيضاً لقب الحاج. وقبل عودة الحجاج تحضّر العائلات البيوت لاستقبالهم، ما يشكل أيضاً فرصة لإقامة احتفالات تتضمن طقوساً تعلوها الزغاريد لإبراز الفرح بعودة الحجاج وإنجازهم الركن الخامس من أركان الإسلام. وهذه المواكب التي تحصل باستخدام سيارات حالياً كانت تسمى «الركب» سابقاً حين كانت وسائل النقل البدائية تستخدم الخيل والدواب لإيصال الحجاج من بيوتهم وقراهم إلى نقاط التجمع في محطات الحافلات أو الموانئ».**

**وفي السابق كان جزء من قوافل الحج التي تسمى «ركب الحج» تتجه إلى ميناء الجزائر العاصمة، ومنه الى مصر والبحر الأحمر قبل الوصول الى مكة، في حين كانت قوافل حج أخرى تعبر البر مشياً فتستغرق رحلة الوصول إلى مكة بضعة أسابيع قبل العودة إلى البلاد، ويتحمّل الحجاج المشقّات التي تصادفهم في طريق الرحلة ذهاباً وإياباً.**

**وتؤكد الباحثة في التاريخ بجامعة قسنطينة شرق الجزائر، سمية قسوم، لـ«العربي الجديد»، أن «تأدية المناسك عملية تحتاج إلى تخطيط وترتيبات كبيرة وتتطلب استعداداً روحياً ونفسياً وبدنياً، إلى جانب توفير كل ما تحتاجه القافلة من مؤونة. وركب الحج كان رحلة من مرحلتين، الأولى في بلاد المغرب تمر عبر الجزائر وولايات تلمسان وبجاية وقسنطينة وعنابة، ثم تدخل إلى تونس وتتوجه إلى صحراء برقة وطرابلس والإسكندرية والقاهرة في مصر. أما المرحلة الثانية فتتضمن السفر بحراً من مصر إلى جدّة في مراكب تحجز خصيصا للحجاج. ولأن هذا المسار كان عسيراً كان يقضي بعضهم نحبهم في الطريق قبل الوصول إلى مكة أو العودة منها، وتوفي بعضهم في البقاع المقدسة ودفنوا هناك».**

**وفي حديث سابق لـ«العربي الجديد» قالت أستاذة علم الاجتماع في جامعة الجزائر، فريدة نوي، إن «عادات الاحتفال بالحجاج تختلف بين منطقة وأخرى، وتحمل معاني عدة، فهي ظاهرة اجتماعية محمودة تعبر عن أواصر المحبة، وتظهر تعظيم الشعائر الإسلامية، كما تزرع الغبطة والسعادة بالحج في النفوس بسبب ارتباطها بتقاليد توارثتها العائلات». أضافت: «ينظر معظم الجزائريين بفرح كبير إلى الحج باعتباره مناسبة محببة في نفوسهم تأتي مرة كل سنة، وتصح لمن أعد العدة، في حين يعتبر البعض الحج بركة تمنح العائلات طاقة متجددة مع عودة الحجاج من أقدس وأطهر مكان في الدنيا». وتبقى ممارسات الأعياد الدينية في الجزائر من الأشكال الرمزية والطقوس الاحتفالية. ويحافظ المجتمع على تراثه الشعبي الموروث في المناسبات، خصوصاً في الحج وعيد الأضحى بما يحملان من موروث يتضح جلياً في مظاهر الفرح والابتهاج، علاوة على تقوية أواصر التواصل العائلي والتضامن الاجتماعي. وكل ذلك يزيد تماسك المجتمع، ويقوي العلاقات بين أفراده.**

**باختصار**

يعتبر الجزائريون أن من يُوفق بورود اسمه في قائمة الحجاج «كأنّما نادت عليه مكة لزيارتها، وقليلون يحظون بذلك»

■■■

يحتفل بالحجاج عبر إقامة وليمة «الوعدة»، حيث يطهى طبق الكسكسي باللحم، ثم ينقل إلى مسجد، ويأكل منه المصلون، ويوزع على الفقراء

■■■

تحتاج عملية تأدية المناسك إلى تخطيط وترتيبات كبيرة وتتطلب استعداداً روحياً ونفسياً وبدنياً

## وأخيراً

# أمّهات إسرائيل

**نجوى بركات**

نقطة اللاعودة. هي ذلك الحدّ، الذي حين يُتَجَاوز، لا بدّ أن تنقلب الأوضاع، تتبدّل، لا تعود ما كانت عليه. في كلّ حرب، كانت هناك نقطة لا عودة، إمّا بالمضي قدماً إلى الأمام، وصولاً إلى خواتيمها، وإمّا إمعاناً في وحشية تجرف كما التسونامي الهادر كلّ شيء. نقطة اللاعودة هذه، تنطلق كالحصاة متقافزةً على سطح بحيرة العالم، ترجرج مياهها الراكدة، فيتحرّك الرأي العام العالمي أخيراً، يدرك ويستوعب، ويكوّن، أخيراً، انطباعه الخاص، متخلّصاً من تأثيرات البروباغندا السياسية وأكاذيبها، التي تحوّل السواد بياضاً، والعكس بالعكس. والرأي العام، هذا، قد ينزل الشارع أحياناً، يتحرّك ويتظاهر ويطالب ويهاجم ويدعم... الرأي العام متى صحا، حرّك عجلة التاريخ دافعاً إيّاها ما استطاع في الاتجاه الصحيح.

كلّنا يذكر صوراً وأحداثاً سكنت ضميرَ العالم ولا تزال، بعد أن هزّته وساءلته كما تفعل أعتى الزلازل؛ صورةُ ابنة التسع سنوات، التي عُرِفت بـ«طفلة النابلم»، التي خرجت عاريةً محترقةً وهي تركض هلعةً مولولة من الألم في أحد شوارع جنوب فيتنام، مع عدد من الجنود والأطفال؛ صورة الصيني، أو «رجل الدبّابة»، الذي وقف في وجه رتل من الدبابات يناورها، ويمنع تقدّمها في ساحة تيان آن من الشهيرة، حيث قمع الجيش بالسلاح الحيّ، قبل يوم، تظاهرات طلّابية أدّت إلى مقتل نحو عشرة آلاف ضحية؛ صورة الطفل المتهاوي جوعاً في جنوب السودان، ومن خلفه يقف نسر ينتظر أن يلفظ رمقه الأخير لينقضّ عليه؛ صورة أطفال غاز السارين النيام في الغوطة، وصورة الطفل إيلان الذي ألقى الموج جسدَه الصغير على الشواطئ التركية، متكوّماً على نفسه بقميصه الأحمر وسرواله النيلي، فهبّت على العالم ريح عاتية اقتلعت ملايين الأفئدة وأدمتها... واليوم غزّة، واليوم فلسطين. صور الأطفال الضحايا، موتى وجرحى وأيتاماً تائهين وسط الدمار، وجوعى لا يجدون ما يسكتون به جفاف أحشائهم، لا تني تتراكض تحت أعيننا على شاشات التلفزة وصفحات الصحف ووسائل التواصل الاجتماعي. أطفال موتى بالآلاف، أعين مُغمضة على الرعب، أجساد صغيرة رخوة مفتّتة العظام، أطراف ترتجف وتتنتّع من الهول.

والسؤال: هل ترى أمّهات إسرائيل هذا؟ وإذا كنّ يرين، فأين هنّ؟ أجل، أين أنتن يا أمّهات إسرائيل، أين هم الآباء؟ كيف تقدرن على هذا كلّه؟ كيف تقدرن على تحمّل هذا الكمّ من القسوة، على هضم هذه الإبادة التي تنقلها الصورة من جميع الزوايا، تصوّرها بالتفصيل المُملّ، تقترب من الجرح وترينا اللحم المكشوط الحي، وتخثّر الدماء وموت الأنسجة والخلايا. حقّاً، أين أنتن يا أمّهات إسرائيل؟ ألستن في النهاية أمّهات؟ ألم تعرفن مخاض الولادة، آلام الوضع؟ ألم تتشمّمن رائحة وليدكن، تحتضنّنه، تُغرقن وجوهكن في لحمه الطري البض؟ ألم تقسن حرارته، تخفن عليه، تدغدغنه، تهدهدنه، وتغنّين له؟ كيف إذن تحتملن هذا كلّه، كيف تُدرن وجوهكن وتدّعين أنكن لا ترين؟ هذا الذي يتشلّع أمامكم هو، أيضاً، طفل، مثل أطفالكن تماماً، من الصنف ذاته، لا فرق، أنتن تعلمن، فلماذا لا تتهافتن تحت قصف الطائرات وأمام الدبّابات لتحمين تلك الملائكة البريئة بأبدانكن، لتضممنهم إلى أحضانكن بعنف، بقوّة، وتخبرنهم ألا يخافوا بعد الآن، لأنكن معهم، حولهم، فوقهم، مثل السماء. أين هن أمّهات العالم كلّه، كيف لا يركبن سفناً ويتوجّهن آلافاً، اللحظة، إلى أرض الموت والخراب؟

مريم العذراء مات لها ابن وحيد، مريم فلسطين مات جميع أبناؤها على مقربة منها، ولم يتبقّ منهم جسد واحد مكتمل تضمّه لتبكيه. أولاد فلسطين يفقدون أمهاتهم وأباءهم ويُرمون في وحشة الدمار والعراء المحروق حيث لا شجر ولا حجر ولا ماء. الصورة بحجم بلاد. الصورة واضحة، نافرة، حاضرة منذ 75 عاماً، لكن العمى سيّد العيون. أجل، الجميع يعلم، فالصور لا تُحصى، والصور التي تحكي قسوة العالم وهشاشة ما بنيناه وتفاخرنا به من إنجازات حضارية وإنسانية، تتراكم وتتوالى تحت أنظارنا بسرعة الضوء.

> الصور التي تحكي قسوة العالم وهشاشة ما بنيناه، تتراكم وتتوالى تحت أنظارنا بسرعة الضوء

**سعر النسخة**: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **دينارات**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,50**, Austria **€ 2,50**, Belgium **€ 2,50**, France **€ 2,50**, Germany **€ 2,50**, Holland **€ 2,50**, Italy **€ 2,50**, Spain **€ 2,50**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 10,00**, USA **$ 2,00**